

الدافعية والسلوك بين نظرية التدرج الهرمي لأبراهام ماسلو ونظرية العقل الثلاثي لبول مكليين

أ.د. بغول زهير

مخبر التطبيقات النفسية والتربوية - جامعة

قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري.

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2، الجزائر

عطوي سعد الدين

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2، الجزائر

ملخص

يهدف مقالنا هذا الى وضع الدافعية كمحدد من محددات السلوك البشري بين محكين، أحدهما سيكولوجي والآخر فيسيوعصبي. فبالإضافة الى نظرية التدرج الهرمي لصاحبها أبراهام ماسلو في الدافعية والتي تعتبر من أشهر النظريات المفسرة للدافعية، لقد تطرقنا إلى نظرية أخرى في مجال فيسيولوجيا الأعصاب تسمى نظرية العقل الثلاثي لصاحبها الطبيب الأمريكي بول مكليين، حيث وبعد اطلاعنا عليها تبين لنا أنها عبارة عن امتداد فيسيولوجي لنظرية أبراهام ماسلو، فاذا كانت هذه الأخيرة تفسر الدافعية من وجهة نظر سيكولوجية فان نظرية العقل الثلاثي تفسر الدافعية والسلوك الإنساني من وجهة نظر فيسيوعصبية، وعليه سنقوم في هذا المقال بعرض وتوضيح العلاقة بين النظريتين ومدى تطابقهما من ناحية المضمون في تفسير السلوك الإنساني والدافعية معتمدين بذلك المنهج الوصفي المقارن.

وسنقوم أولاً بعرض لمحة عن نظرية التدرج الهرمي بنوع من الإيجاز حتى يتسنى للقارئ فيما بعد فهم العلاقة التي تربطها بنظرية العقل الثلاثي، ثم بعد ذلك نتطرق إلى عرض نظرية العقل الثلاثي بشيء من التفصيل ليتمكن القارئ من معرفتها وفهمها، ثم نقوم بعرض وتوضيح العلاقة بين النظريتين ومدى التطابق بينهما، وكيف أن نظرية العقل الثلاثي تفسر بطريقة فسيولوجية نظرية التدرج الهرمي وفي الأخير نعرض بعض الانتقادات الموجهة لكل من النظريتين.

الكلمات المفتاحية: الدافعية - السلوك - نظرية التدرج الهرمي - نظرية العقل الثلاثي.

Abstract

This article focuses on Motivation as a determinant factor of human behavior according to two criteria; one is psychological, the other is neuro-physiological. Besides the famous theory of Abraham Maslow, also Called Hierarchy of needs theory that explains motivation, the study sheds light on “The triune brain theory” of Paul D. MacLean in the field of neurophysiology. If Abraham Maslow explained the motivation from the psychological view point, the triune brain theory explained it from a neuro-physiological perspective. The study aims to clarify the relationship between the two theories, and their compatibility to explain motivation by using a comparative descriptive method. On the one hand, there is a thorough explanation of the hierarchy of needs theory for its readers in order to enable them to understand it and be capable to see the relationship that links it to triune brain theory. On the other hand, the study determines how triune brain theory explains physiologically the hierarchy of needs theory. Finally, some critical comments are destined to the two theories.

Keywords: Motivation, Human behavior - Hierarchy of needs theory- The triune brain theory.

مقدمة :

على الرغم من أن علم النفس يقوم بمعالجة الكثير من المتغيرات والظواهر السلوكية كالإدراك والتعلم والانفعال والذكاء وغيرها، إلا أن موضوع الدافعية قد لاق اهتمام كبير من طرف العلماء والباحثين في ميدان علم النفس لما له أهمية من تحريك وتوجيه السلوك الإنساني نحو تحقيق غايات وأهداف فردية واجتماعية وتنظيمية، وعليه فإن الإنسان هو ذلك الكائن الحي الذي تحركه جملة من الدوافع والغرائز يسعى لإشباعها بشكل مستمر تحقيقاً للتوازن النفسي والبيولوجي متفادياً بذلك حدوث حالة التوتر واختلال التوازن، الأمر الذي يؤدي به إلى نهج سلوك معين. وعليه فموضوع الدافعية هو بمثابة وسيلة لفهم حياة الفرد وعملياته العقلية والسيكولوجية. ولفهم حياة الفرد من خلال فهم دوافعه، قام العديد من العلماء والباحثين في مجال الدافعية بصياغة نظريات تفسر هذا المتغير كل من وجهة نظره، وتم تقسيم هذه النظريات إلى قسمين، يسمى القسم الأول نظريات المحتوى والتي تركز على عوامل تثير السلوك المدفوع كنظرية التدرج الهرمي لأبراهام ماسلو Abraham Maslow ونظرية العاملين لفريدريك هرزبيرغ Frederick Herzberg ونظرية البقاء والانتقاء والتطور لألدرفر Alderfer Clayton Paul، أما القسم الثاني فهو معروف بنظريات النسق وهي تركز على العوامل التي تحدد الاتجاه لهذا السلوك، وتشمل نظرية التوقع لفكتور فروم Vroom Harold Victor ونظرية العدالة لأدام ستيسي Stacey Adams John ونظرية الهدف للوك Edwin Locke.

وسوف لن نتطرق لعرض هذه النظريات في هذا المقال، إذ أننا سنتطرق إلى نظرية لا هي من نظريات النسق ولا من نظريات المحتوى ولا هي حتى نظرية في ميدان علم النفس، ولكنها نظرية في ميدان فسيولوجيا الأعصاب لها علاقة قوية بنظرية التدرج الهرمي لأبراهام ماسلو (كما سنراه لاحقاً)، والمعروفة باسم نظرية الدماغ الثلاثي (Théorie du cerveau triunique) لصاحبها طبيب فسيولوجيا الأعصاب الأمريكي بول مكليين (MacLean Paul) سنة 1969 حيث قام بنشرها كاملة في كتابه "العقل الثلاثي للإنسان" سنة 1990⁽¹⁾، أي بعد ظهور نظرية التدرج الهرمي لأول مرة سنة 1943

والتي عرفت وقتها بنظرية تحفيز الإنسان ثم نشرت كاملة في كتاب "التحفيز والشخصية" سنة 1954⁽²⁾. وعليه فان نظرية التدرج الهرمي سابقة عن نظرية العقل الثلاثي زمنيا. فإذا كانت نظرية التدرج الهرمي تفسر ظاهرة الدافعية وتحفيز الإنسان من الناحية السيكلوجية، فان نظرية العقل الثلاثي تفسر الدافعية من الناحية الفيسيولوجية بشكل يتطابق ضمينا مع نظرية سلم الحاجات، وهذا ما سنبينه في هذا المقال.

1- لمحة عن نظرية التدرج الهرمي لأبراهام ماسلو (Abraham Maslow).

تعتبر نظرية سلم الحاجات لماسلو من المساهمات الرائدة في فهم الدافعية⁽³⁾ وذلك بوضعها تقسيم للحاجات الإنسانية، باعتبارها مصدرا للدافعية ومحرك للسلوك الإنساني وفق تدرج هرمي - كما هو موضح في الشكل رقم 1 - وعليه تقوم نظرية التدرج الهرمي على مجموعة من المبادئ الرئيسية:



الشكل رقم (01): هرم الحاجات لأبراهام ماسلو⁽⁰⁴⁾

- أولا: الإنسان كائن يشعر باحتياج لأشياء معينة وبشكل مستمر، وهذا الاحتياج يؤثر على سلوكه بخلق التوتر، الأمر الذي يؤدي بالفرد إلى الرغبة في إنهاء حالة التوتر هذه من خلال السعي للبحث عن إشباع الحاجة، وبالتالي فالحاجة الغير

مشبعة هي التي تؤثر في السلوك، في حين أن الحاجات التي تم إشباعها لا تحرك ولا تدفع السلوك الإنساني.

• **ثانيا:** تترتب الحاجات في هرم يبدأ بالحاجات الأساسية اللازمة لبقاء الإنسان وتدرج في سلم يعكس مدى أهميتها أو ضرورتها، من حاجات بدائية إلى حاجات سامية.

• **ثالثا:** يتقدم الإنسان في إشباعه للحاجات بدءا بالحاجات الأساسية (الحاجات الفسيولوجية) ثم يصعد درجات الهرم للانتقال لحاجات الأمان، فالحاجات الاجتماعية، ثم حاجات التقدير، وأخيرا حاجات تحقيق الذات.

• **رابعا** إن الحاجات الغير مشبعة لمدة طويلة، قد تؤدي إلى توتر حاد قد يسبب آلام نفسية يؤدي الأمر إلى استعمال العديد من الوسائل الدفاعية كردود فعل يحاول من خلالها الفرد مواجهة حدة التوتر⁽⁵⁾.

وانطلاقا من هذه المبادئ اقترح ماسلو خمس فئات للحاجات تترتب ترتيبا هرميا من الحاجات البدائية التي تضمن لنا البقاء البيولوجي تشمل الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان، إلى الحاجات الاجتماعية والعلاقات التي تضمن توازننا السيكولوجي وتشمل الحاجات الاجتماعية والتقدير، وأخيرا حاجات التطوير والإنجاز والتخطيط وتمثل في حاجة تحقيق الذات.

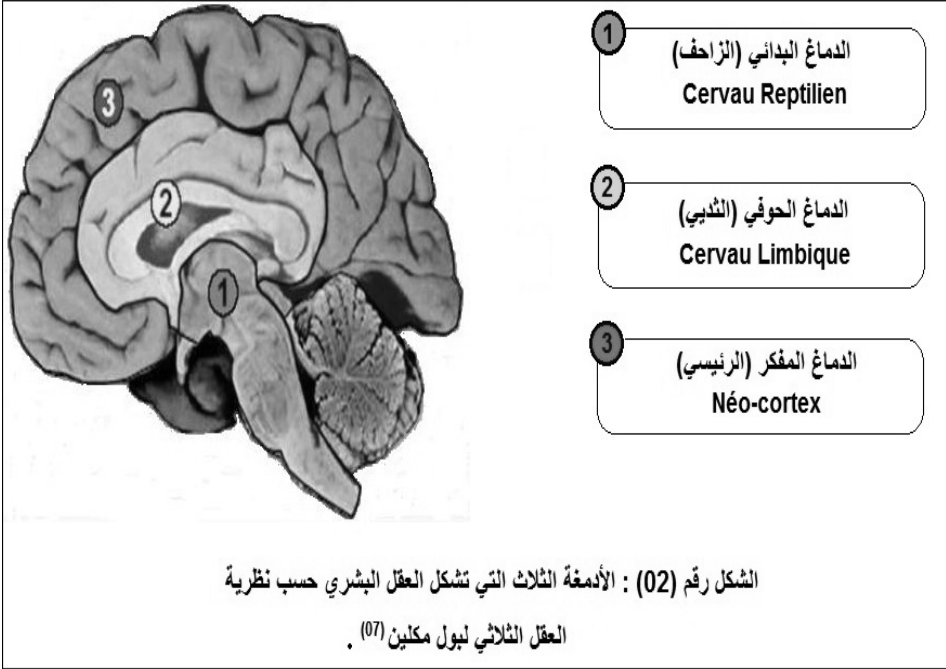
وما تجدر الإشارة إليه أننا سوف لن نخوض مطولا في الشرح المفصل لفئات الحاجات الواردة في هرم ماسلو لأنه ليس موضوع مقالنا، وإنما سنقوم بإسقاط هذه الفئات التي تشكل هرم التدرج الهرمي على نظيرتها المتمثلة في مستويات العقل والتفكير الواردة في نظرية العقل الثلاثي وكيف أن هذه الأخيرة ستشرح بطريقة فيسيولوجية ما ورد في الأولى، وفيما يلي ستقوم عرض لنظرية العقل الثلاثي.

2- نظرية العقل الثلاثي لبول مكليين (Paul D McLean)

ظهرت نظرية العقل الثلاثي سنة 1969 على يد طبيب فسيولوجيا الأعصاب الأمريكي بول مكليين، حيث يمكن اعتبارها كأداة نظرية وكنموذج للتصميم الوظيفي للعقل البشري وتنظيم مبادئه. وتستند نظرية العقل الثلاثي إلى فرضية مفادها أن العقل البشري يتكون من ثلاث أجزاء متباينة تكونت خلال تطور العقل البشري عبر عدة مراحل⁽⁶⁾، منذ وجود النوع البشري على وجه الأرض. حيث أمضى بول مكليين مدة ثلاثين عاما لتطوير نظريته حينما كان رئيسا لمختبر تطور الدماغ والسلوك في المعهد القومي للصحة العقلية للولايات المتحدة الأمريكية، وعلى أساسه تمكن من تتبع العلاقة بين تركيب عقل الإنسان ووظيفته بمعنى أنه كلما انتقلنا في سلم التطور من الأدنى إلى الأرقى، أمكننا ملاحظة التطور في التعبير الانفعالي من المستوى المتدني الغير الناضج لنصل إلى أرقى مستوى عند الإنسان، وهكذا تمكن بول مكليين من وضع نموذج يقوم على أساس أن المخ نظام ثلاثي الطبقات كما هو موضح في الشكل رقم (2) وهي كالتالي :

- أولاً: العقل البدائي أو الزاحف (Cerveau Reptilien): يقع هذا الجزء تحت جذع الدماغ تماماً وهو المسئول عن الوظائف المتعلقة بغريزة البقاء ومتطلبات الدفاع عن النفس كالحذر الشديد والجاهزية للمواجهة، وبعض الوظائف البيولوجية كالأكل والشرب وجنس.... الخ.
- ثانياً: الجهاز الحوفي أو الدماغ الثديي (Cerveau Limbique): ويعرف كذلك بالدماغ العاطفي، يقع هذا الجزء في وسط الدماغ وتكمن وظيفته في تحفيز الذاكرة وإحباطها، والرغبة في منح وأخذ المودة والعطف والتسامح، ونيل الاستحسان والقبول من الآخرين، إضافة إلى مشاعر الغضب والحزن والسرور والعواطف الخاصة التي تتاب الفرد حينما يتعرض للرفض والقبول من طرف الآخرين.
- ثالثاً: العقل المفكر أو اللحائي (Cerveau Neo-Cortex): وهو الجزء الذي يشغل المساحة الأكبر من الدماغ، فهو يقوم بإحاطة الجزأين الآخرين وفيه تتم

عملية معالجة المادة الحسية، ويختلف الدماغ اللحائي عن السابقين بأن لديه القدرة على التفكير التحليلي والتركيبى والتفسير وإيجاد الحلول، وكذلك التنبؤ والتخطيط المستقبلي.



وكل عقل من هذه العقول الثلاثة يخدم أهداف ومقاصد معينة وكل واحد منهم يتدخل لأسباب تختلف عن الأخرى، أي لكل عقل الدوافع التي تحركه وتستثيره، حيث تجب الإشارة هنا أنه من الأمور المهمة التي يجب معرفتها في نظرية العقل الثلاثي، أننا حينما ندرك أننا نملك الجزء المتطور من الدماغ المتمثل في الدماغ المفكر، فهذا يعطينا شعور أن هذا الجزء هو الذي يتولى زمام الأمور والسيطرة على كل شيء، لكن الحقيقة هي العكس من ذلك تماماً حيث أن العقل البدائي هو الذي يستخدم العقول جميعاً ويخضعها لأغراضه فالعقل البدائي يخدم غرضاً خالداً منذ الأزل وهو ضمان بقاء الإنسان، وهذا ما سنتناوله في العنصر اللاحق بشيء من التفصيل، حيث سنتطرق إلى شرح كل عقل بشكل مفصل والعلاقة التي تربطه مع أحد مستويات الحاجات لنظرية التدرج الهرمي.

3- العلاقة بين نظرية التدرج الهرمي للحاجات ونظرية العقل الثلاثي

كما سبق وأشرنا يمكن اعتبار نظرية العقل الثلاثي هي الامتداد الفسيولوجي لنظرية الحاجات، فهي مكملة لها من الناحية التشريحية (الفيسيوعصية)، حيث أن كل عقل من العقول الثلاث لنظرية العقل الثلاثي يرتبط من الناحية الوظيفية والسلوكية بمستوى معين في نظرية التدرج الهرمي من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى.

3 - 1 - العقل البدائي (الزاحف) وعلاقته بالحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن:

إن العقل البدائي يقابله في هرم ماسلو الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن بدرجة أقل، فمن الناحية التشريحية وكما هو مبين في الشكل رقم (02) يتواجد العقل البدائي في منطقة جذمخية من الدماغ وعليه فهو بنية عقلية في غاية المقاومة في حالة صدمة دماغية، كما يمكن اعتباره امتداد للنخاع الشوكي من ناحية المخ.

ويذهب بول مكليين في كتابه "العقول الثلاثة للإنسان" إلى أن العقل البدائي هو المسؤول عن سلوكياتنا البدائية، فهو يضمن البقاء للكائن البشري أي نفس دور المستويات الأولى والثانية لهرم ماسلو⁽⁸⁾، فجميع الحاجات البدائية، من الحاجة للأكل والشرب والجنس والتنفس مصدرها العقل البدائي، بالإضافة الى الحاجات البدائية المذكورة فان العقل البدائي مسؤول كذلك عن ضبط توازن الوظائف الحيوية اللاإرادية للجهاز السمبتاوي والبار سمبتاوي (Système Sympathique et parasympathique) فهو يقوم بضبط التنفس ودقات القلب والضغط الدموي وحرارة الجسم وغيرها، على اعتبار أن منطقة تحت المهاد (Hypothalamus) تقع ضمن العقل البدائي أو الزاحف.

كما يحتوي العقل الزاحف على مجموع التعليمات المبرمجة مسبقا والتي تستنفذ دائما، ويمكننا ملاحظة آثارها على السلوك البشري بشكل مستمر. ففي كثير من الأحيان حينما نتعرض لحادث معين (مثل السقوط من الدرج أو حادث سيارة أو سقوط من الدراجة وغيرها)، يتتابنا شعور أثناء الحادث بالضبط مفاده أن الأمور تسير ببطء شديد - مثل

إعادة اللقطة التي نشاهدها في مباريات كرة القدم المتلفزة - وهي وظيفة أساسية من وظائف العقل البدائي الذي يعمل على تطوير انتباه خارق للعادة ويقتطع غير عادية يتمكن الفرد من خلالها من عمل رد فعل (Reflex) يتيح له المحافظة على بقائه أو التقليل من أضرار الحادث كأدنى حد.

مثلها مثل نظرية التدرج الهرمي للحاجات، فإن نظرية العقل الثلاثي يتم توظيفها كذلك في المجال المهني والتنظيمي والاقتصادي، فلما يكون مستوى الإنتاج ضعيفا وتكون مردودية العمال في تدني يلجأ الساسة الاقتصاديين وأرباب العمل ورؤساء الشركات إلى نوع من الخطاب التخويفي مفاده غلق المؤسسات، خصم الأجور، تسريح العمال.... الخ، وهذا النوع من الخطاب يؤدي مباشرة إلى استثارة العقل البدائي، وهو الأمر الذي يؤدي بالمخاطبين (العمال) إلى ردود فعل تضمن وتؤمن لهم بقائهم الفسيولوجي (حاجات البقاء والأمن)، كالبحث عن فرص عمل بديلة أكثر استقرارا أو رفع مستوى الإنتاج والمردودية لتجنب خصم الأجر والتسريح.

إضافة إلى ما سبق هناك نماذج أخرى من السلوك التي يحددها العقل البدائي والمستوى الأول والثاني من سلم الحاجات، مثل الخوف والكراهية والعدوانية، إضافة إلى نماذج أخرى من السلوك كحب البقاء، الجنس، حب التملك، المغالبة والقتال.... الخ، أما في بعض الحالات الحرجة فإن هذا المستوى من مستويات العقل هو الذي يزود العقل المفكر (ستتناوله لاحقا) بالحلول دون أن نشعر بذلك.

- وأهم خاصية يتميز بها العقل الزاحف هو أنه في الحالات التي تهدد بقائنا البيولوجي مثل خطر الموت فإن هذا العقل يفقد التواصل مع بقية المستويات (العقل العاطفي والعقل المفكر)، ليمكن من اتخاذ القرارات المناسبة للظروف الطارئة كالهروب والاستعداد للمواجهة والقتال وغيرها.

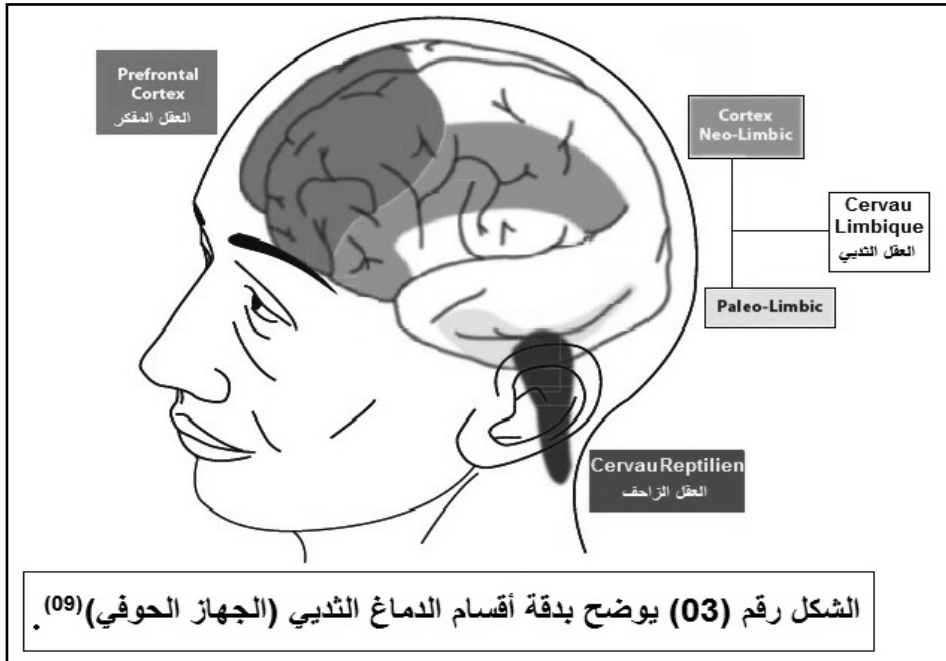
- يتضح مما سبق أن العقل البدائي لا يختلف من الناحية السلوكية والوظيفية عن السلوكيات التي تفرضها الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن، كذلك وبما أن

الحاجات الفسيولوجية التي تمثل حاجات البقاء، هي حاجات مشتركة بين جميع الكائنات الحية حيث يتعين إشباعها من طرف جميع المخلوقات لبقاء واستمرار الحياة، فان العقل البدائي (الزاحف) هو كذلك مشترك بين المجتمع الإنساني والحيواني حيث يتوقف بقاء واستمرار حياة كل من الإنسان والحيوان على هذا الجزء من الدماغ.

3 - 2 - الدماغ الثديي (الجهاز الحوفي) وعلاقته بالحاجات الاجتماعية وحاجات التقدير:

ان الدماغ الثديي أو كما يسمى بالجهاز الحوفي يقابله في نظرية التدرج الهرمي الحاجات الاجتماعية وحاجات التقدير، فمن الناحية التشريحية هو مقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: (Paléo-limbique) ويقصد به الحوفي القديم.
- القسم الثاني: (Néo-limbique) ويقصد به الحوفي الجديد. وفيما يلي الشكل رقم (03) يبين بدقة أقسام الجهاز الحوفي:



فالقسم الأول من العقل الثديي أطلق عليه بول مكليين اسم (Paléo-limbique) هو المسئول عن تثبيت الإنسان على العيش وسط مجموعة وتعليمه العيش في الحياة الاجتماعية عن طريق التعلم، وكذلك توظيف نتائج الخبرات السابقة⁽¹⁰⁾، وهي نفس وظيفة الحاجات الاجتماعية (المستوى الثالث) لنظرية التدرج الهرمي. غير أن بول مكليين يذهب إلى أعمق من ذلك في توضيح دور الذاكرة والتعلم اللاواعي في تقوية كل فرد في مكانه في المجتمع وهو الأمر الذي يحد من ظاهرة الصراع والقتال بين أفراد المجتمع الواحد، حيث أن عملية ضبط السلوك تتم عبر الشعور بالخوف حسب ما ذهب إليه بول مكليين⁽¹¹⁾. كذلك فإن هذا القسم من العقل الثديي (Paléo-limbique) هو المسئول عن إدارة العلاقات داخل المجموعة وتحديد وضعيات الأفراد وتسلسلهم الهرمي سواء في الحياة الاجتماعية أو الحياة المهنية وكذلك تحديد علاقة الفرد بالمجموعة ككل، والتي تترجمها ظاهرة الاستبعاد في حالة عدم قبول معايير المجموعة، وظاهرة الاندماج التوافق مع معايير المجموعة وقبولها.

وما تجب الإشارة إليه أن هذا القسم من الجهاز الحوفي يمنع التفكير من خلال المعايير ووجهات النظر الشخصية على اعتبار أن المجموعة هي المصدر.

القسم الثاني من الجهاز الحوفي أطلق عليه بول مكليين اسم (Néo-limbique)، وهو القسم المتقدم والمتطور من الناحية الوظيفية عن القسم السالف الذكر، حيث يقوم هذا القسم بضبط سلوك الأفراد في المجتمع بواسطة المعايير التي يكتسبها الفرد من المجتمع ذاته عن طريق التجارب والخبرات، كما يعتبر هذا القسم بمثابة وعاء للعواطف والخبرات التي يتمكن الفرد من خلالها بالتمييز بين ما يجب فعله وما لا يجب فعله، ومدى تطابق سلوك الفرد مع معايير المجتمع، الأمر الذي يمكن الفرد من توسيع شبكة تواصله مع باقي أفراد المجتمع والاندماج في المجموعة وكسب المكانة الاجتماعية وغيرها من محددات حاجات المستوى الثالث لنظرية أبراهام ماسلو.

كما يذهب بول مكليين إلى أن من بين وظائف هذا القسم هو التكيف الجيد مع المحيط الاجتماعي وإيجاد الحلول في بعض حالات الاختلالات الاجتماعية كالصراعات وصعوبة

الاندماج وغيرها، كما أن الإحساس بالنجاح أو الفشل يتم عن طريق هذا القسم من الجهاز الحوفي وهو الأمر الذي يؤدي بطبيعة الحال الى الحاجة للمكانة الاجتماعية ومن ثم الحاجة للتقدير.

يتواصل الدماغ الثديي (الجهاز الحوفي) مع العقل المفكر (ستتناوله لاحقاً) باتجاه واحد (دون تغذية راجعة من العقل المفكر) فيقوم بتزويده بمعلومات ذات أصل عاطفي وجداني، ولكن في حالة ما اذا كانت الرسالة الوجدانية مرتفعة الشدة، يقوم العقل المفكر بقطع الوظائف المعرفية والتفسيرية لهذه المحسوسات، أي أنه يعمل بمثابة مصفاة وجدانية، وهذا ما يعرف أحيانا بالصدمة التي تؤدي إلى خلل في الذاكرة (فقدان جزئي للذاكرة) جراء حالات الضغط والقلق المرتفعة، ففي هذه الحالة تحدث عملية نكوص في التفكير من مستوى أعلى إلى مستوى أدنى، فيأخذ العقل البدائي (الزاحف) زمام الأمور يضع الفرد في حالة ضغط، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة إفراز هرمون الأدرينالين (Adrenaline)، وبذلك يتأهب الفرد لمواجهة الخطر بالهروب أو القتال لغرض المحافظة على بقائه البيولوجي⁽¹²⁾.

بالإضافة للأساليب التي يستعملها العقل البدائي للمحافظة على البقاء كالهروب والمواجهة والقتال.... الخ، فالجهاز الحوفي (العقل الثديي) وعلى اعتبار أنه المسئول عن الحياة الاجتماعية والمكانة والتقدير، فهو كذلك مزود ببعض الأساليب لمواجهة العدوان بمفهومه الاجتماعي المتمثل في الاستفزات، المضايقات، المحاولة من النيل سمعة الفرد.... الخ، ففي هذه الحالة يلجأ العقل الثديي إلى استعمال المناورة لرد الاستفزات أو لتصحيح صورته في أذهان محيطه الاجتماعي وبذلك الحصول على مكانته الاجتماعية أو استرجاعها.

يمكن ملاحظة وظائف العقل الثديي (الجهاز الحوفي) بشكل جلي في الحياة المهنية ومحيط العمل، حينما نرى الفرد العامل يسعى جاهدا لربط علاقات ودية سواء مع الزملاء أو المشرفين، كما يسعى جاهدا للإصلاح بعد نشوب الصراعات التنظيمية. أما سعي الفرد

للبحث عن الترقية والسعي الدائم للبحث عن المكانة المرموقة والسمعة الرفيعة هي ترجمة مباشرة لما يمليه عليه الجهاز الحوفي بصفة عامة، وقسم الحوفي الجديد بصفة خاصة.

وظائف العقل الثديي ليست حكرا على الإنسان فقط، فهناك بعض المجتمعات الحيوانية التي تعيش الحياة الاجتماعية تملك جهازا حوفيا يسمح لها بالعيش وسط أفراد النوع الخاص بها، بل هناك من المجتمعات الحيوانية ما نلاحظ أن لديها جهازا حوفيا متطورا من خلال سلوكياتها التي تتمثل في البحث عن المكانة الاجتماعية (قيادة القطيع)، بعد الصراع بين أفراد الذكور التي ترى نفسها قادرة على قيادة القطيع مثل قطعان الماشية ومختلف أنواع الماعز والأيل المتوحش التي تعيش في البرية.

3 - 3 - العقل المفكر (اللحائي) وعلاقته بحاجات تحقيق الذات:

يمثل العقل المفكر من الناحية التشريحية القشرة المخية كما هو موضح في الشكل رقم (02)، ويقابله في نظرية التدرج الهرمي المستوى الأخير من الحاجات المتمثل في الحاجة لتحقيق الذات، يعتبر العقل المفكر المسئول على تهيئة الأفكار والمنطق وكذا الوظائف العقلية العليا كالإبداع والتخيل التي يقوم الفرد - الذي وصل للمستوى الأخير في هرم ماسلو - بترجمتها عن طريق الفنون والابتكارات لتحقيق ذاته

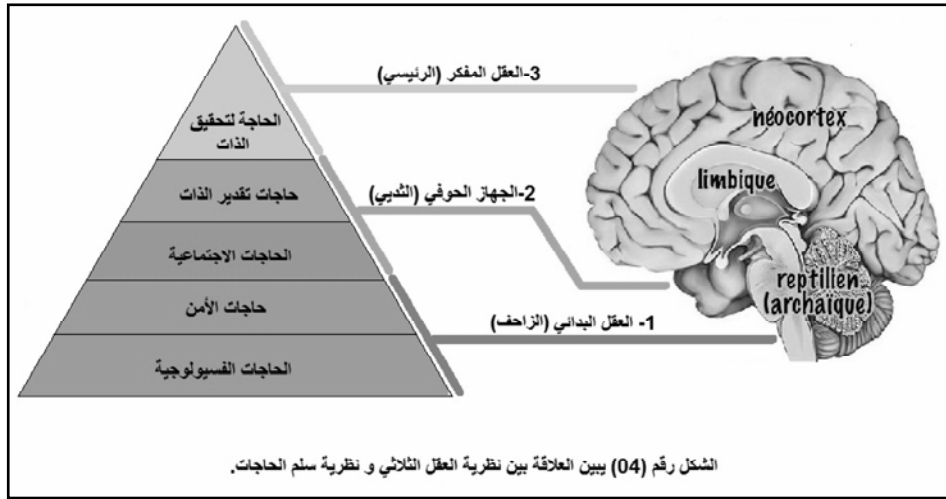
- كما يعتبر العقل المفكر مركز العديد من الوظائف والعمليات مثل الملاحظة والتحليل والتأمل والاستنباط والتركيب، وبفضل هذه الوظائف يتكون لدى الفرد القدرة على الحدس والتنبؤ والتخطيط المستقبلي، وهذه القدرات هي التي تمكن الفرد من الإنجاز وتحقيق الذات، وعليه يمكن القول أن القشرة الدماغية (العقل المفكر) هي المسئول عن تحقيق أسمى الحاجات في هرم ماسلو.

- وعلى عكس العقل الثديي، فإن العقل المفكر لا يتأثر بأفكار ووجهات النظر المتجهة نحوه من طرف المحيط الاجتماعي، ولذلك فإن كل ما يصدر منه هو ذو طابع موضوعي، الأمر الذي يسمح بتجاوز الخوف والعدوان وجل الخبرات العاطفية، كما يقوم بتسهيل عملية الوساطة في حالة الصراع مستخدما بذلك التواصل الصادق من أجل تجاوز تلك

الحالات الحرجة وهو ما عبرت عنه الباحثة كريستين مارسان (Christine Marsan) بقولها: "إن العقل المفكر يقوم بتحويل السلوكيات البدائية كالعدوان والهروب من الخطر إلى سلوكيات لتحقيق الذات على اعتبار أن العقل المفكر لا يتأثر بعامل الخوف فهو على عكس العقل الثديي"⁽¹³⁾.

- نلتمس السلوكيات النابعة من العقل المفكر في جل الأعمال الإبداعية المتمثلة في الفنون بمختلف أنواعها والاختراعات والاكتشافات العلمية، وما التطور الحضاري إلا ترجمة لما وصل إليه العقل المفكر البشري، حيث أن العقل المفكر (اللحائي) هو خاصية بشرية مطلقة، أي أن هذا القسم من العقل هو الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية.

- من خلال ما تم عرضه قمنا بتصميم شكل يوضح العلاقة بين العقل البشري حسب نظرية العقل الثلاثي ونظرية سلم الحاجات:



نقد :

التنظير هو حصر أكبر عدد ممكن من الظواهر في قالب علمي موحد، وعليه فإن النظريات (على عكس القوانين العلمية)، تقوم بتغطية وتفسير أكبر قدر ممكن من الظواهر وليس كلها مما يفتح المجال للنقد العلمي لتغطية الفراغ الذي وقع فيه التنظير. وعليه فإن كلتا النظريتين اللتين تناولناهما تعرضتا لمجموعة من الانتقادات، فما يؤخذ على نظرية التدرج الهرمي عدم وضوح المعايير إضافة إلى عدم التعرف على مصداقية نتائجها على صغار السن خاصة وأن ماسلو قد أكد على تحقيق إشباع الذات لدى كبار السن، أكثر منه عند الصغار⁽¹⁴⁾. إضافة إلى أن ماسلو لم يأخذ بعين الاعتبار اختلاف المجتمعات الإنسانية وتأثير عامل الثقافة والتربية والدين والبيئة، فنجد مثلاً بعض العلماء والمفكرين والمبدعين قد يبدوون من حاجات تحقيق الذات دون احترام التسلسل الهرمي الذي يعتبر أحد قوانين النظرية، إضافة أن نظرية سلم الحاجات تفتقر إلى الدقة فهي لم تهتم بتحديد حجم الإشباع اللازم للانتقال إلى الحاجات الأعلى، وهو ما نلاحظه بشكل جلي لدى بعض الأفراد الذين يقومون بإشباع حاجات مستوى معين بشكل مستمر ودائم دون الانتقال إلى مستوى أعلى.

- مثلها مثل نظرية التدرج الهرمي، فإن نظرية العقل الثلاثي تعرضت لمجموعة من الانتقادات أهمها النقد الذي وجهه لها جون - فرنسوا دورتيي (Jean-François Dortier) في مقاله المعنون بأسطورة العقل الثلاثي (Le mythe des trois cerveaux)⁽¹⁵⁾، وهو نقد يغلب عليه طابع فسيولوجي تشريحي لا يسعنا المقام لذكره هنا. كذلك من بين الانتقادات، نقد ميشال دي براكونتال (Michel de Pracontal) الناقد التجريبي الفرنسي في كتابه (L'Imposture scientifique en dix leçons)⁽¹⁶⁾، حيث يعتبر أن نظرية العقل الثلاثي تم تقديمها على أنها بمثابة ثلاث طبقات مستقلة بنيوية ووظيفية، حيث يرى الناقد أن العقل من الناحية التشريحية هو كل متكامل سواء من حيث البنية أو الوظيفة، حيث أن مختلف مناطق العقل تتفاعل فيما بينها، ففي حالة الخوف مثلاً عند رؤية أمر مفرع، فبعد تلقي الرسالة العصبية البصرية لا يقوم العقل البدائي بإدراكها،

وإنما العقل المفكر والجهاز اللحائي، لأن العمليات المعرفية والإدراكية لا تنبع من العقل البدائي، وهو ما يبين أن الطبقات التي تشكل العقل الثلاثي لا تعمل بطريقة مستقلة وإنما بطريقة متكاملة كل منها له علاقة بالأخرى.

خاتمة :

إن تناولنا لنظريتين في مجالين مختلفين لمعالجة ظاهرة واحدة هو دليل على أن الظواهر السيكولوجية والاجتماعية يمكن دراستها من عدة جوانب الأمر الذي يشري هذه المتغيرات بالتراث العلمي ومن زوايا مختلفة، ففي كثير من الأحيان وجراء هذا الشراء العلمي، نجد أن الفراغ الذي تعاني منه نظرية معينة تغطيه الأخرى، وهو ما حاولنا فعله في مقالنا هذا. فتفسير ظاهرة معينة بنظريتين، وتفسير الواحدة منهما بالأخرى نهدف من خلاله إلى سد جوانب القصور وتكملة النظريتين ببعضهما البعض. من جهة أخرى فان نظريات الدافعية، بما فيها النظريتان المتناولتان في مقالنا هذا لا تحلوا من جوانب الفراغ والمآخذ، فهي بحاجة مستمرة إلى اختبار صحتها على الواقع العملي، والنقد الموجه لهذه النظريات هو بمثابة نقطة الانطلاقة لإعادة البحث للوصول إلى النقاط التي لم تصلها هذه النظريات وكذلك إيجاد الأجوبة العلمية للنقود والمآخذ الموجه لها.

الهوامش:

1. Paul Donald Maclean, Roland Guyot: Les trois cerveaux de l'Homme, Robert Laffont, 1990.
2. Maslow, A: Motivation and personality, Harper & Brothers, N.Y. 1954.
3. محمد بالراح، الدافعية الإنسانية، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 2011، ص 207.
4. لوكيا الهاشي، السلوك التنظيمي، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة، 2006، ص 179.
5. أندرو دي سيزلاكي ومارك جي والاس، السلوك التنظيمي والأداء، الترجمة لجعفر أبو القاسم أحمد، معهد الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، 1991، ص ص 93 - 94.
6. Christine Marsan: Théorie du cerveau triunique, Annexe du livre La vitalité d'un néo Renai-Sens, 2013, p 1.
7. Jean-Pierre Delouche: Les 9 clés de la personnalité, Itev Services, Article 1/41, 2013, p 18.
8. Christine Marsan, Op. cit, p 2.
9. Jean-Francois Dortier: Le mythe des trois cerveaux, Sciences humaines, hors-série spécial (N°14). 2011, p 14.
10. Christine Marsan, Op. cit, p 2.
11. Christine Marsan, Op. cit, p 3.
12. Christine Marsan, Op. cit, p 3.
13. Christine Marsan, Op. cit, p 4.
14. إبراهيم الغمري، السلوك الإنساني والإدارة الحديثة (1975)، دار الجامعات المصرية، لإسكندرية 1975، ص 185.
15. Jean-Francois Dortier, Op. cit, p 14.
16. Michel de Pracontal, L'imposture scientifique en dix leçon, éditions de la découverte, Paris, 1986.

قائمة المصطلحات والمراجع

المراجع باللغة العربية :

- إبراهيم الغمري، السلوك الإنساني والإدارة الحديثة (1975)، دار الجامعات المصرية، لإسكندرية.
- ادراود ج. موراي، الدافعية والانفعال (1988)، الترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، دار الشروق.
- أندرو دي سيزلاكي ومارك جي والاس، السلوك التنظيمي والأداء (1991)، الترجمة لجعفر أبو القاسم أحمد، معهد الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية.
- سامي عبد القوي، علم النفس الفسيولوجي (1995)، طبعة ثانية، مكتبة النهضة، مصر.
- عباس محمود عوض، علم النفس الفسيولوجي (1999)، دار المعرفة الجامعية.
- عبد الستار إبراهيم، علم النفس الإكلينيكي، مناهج التشخيص والعلاج النفسي (1988)، دار المريخ للنشر، الرياض.
- عبد اللطيف محمد خليفة، الدافعية للإنجاز (2000)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- لوكيا الهاشمي، السلوك التنظيمي (2006)، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة.
- محمد بالرابح، الدافعية الإنسانية (2011)، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران.

- المراجع باللغة الأجنبية (أنجليزية، فرنسية):

1. M Albert, M Moss (1988) Geriatric Neuropsychology. New York: Guilford Press.
2. Al-Gareo.O, Al-Garem's (1984) Clear neurology for medical student, Dar el maaref.
3. Campbell, R. (1982). The lateralization of emotion: A critical review. International Journal of Psychology, 17.
4. Maslow, A (1954) Motivation and personality, Harper &Brothers, N.Y.
5. Christine Marsan (2013) Théorie du cerveau triunique, Annexe du livre La vitalité d'un néo-Renai Sens.
- 6.Ellis.A, Young.A, (1994), «Human cognitive neuropsychology». 6th,ed, UK, Laurence King Publishing Ltd.
- 7- Jean-Pierre Delouche (2013) Les 9 clés de la personnalité, Itev Services, Article 1/41.
8. Jean-Francois Dortier (2011) Le mythe des trois cerveaux, Sciences humaines, hors-série spécial (N°14).
- 9.Michel de Pracontal (1986) L'imposture scientifique en dix leçon, éditions de la découverte, Paris.
10. Paul Donald Maclean, Roland Guyot (1990) Les trois cerveaux de l'homme, Robert Laffont.

